

السعودية، فإنه أيضاً واحد من نقاط ضعفها، ويجعلها عرضة للضغوط، والانخفاض الحاد في أسعار النفط، أدى الى أن تعلن السعودية عن عجز قدره 326 مليار ريال سعودي لعام 2016، ويقدّر أن الاحتياطي السعودي يمكن أن يكفي السعودية لمدة سبع سنوات بشرط بقاء الأسعار في حدود 30 دولاراً للبرميل، وعدم تفجر مناطق صراع وحروب أخرى، وهي أمور خارج سيطرة الرياض، وتتدخل فيها عناصر أخرى اقليمية ودولية.

لا تضم السعودية قاعدة انتاجية واقتصادية مستقلة عن النفط، وهذا ما يجعلها تحت رحمة السوق والنفط.

3. التحالف مع الغرب غطاء قد ينكشف

العتب والزعل السعودي على أميركا بعد توقيع واشنطن اتفاقاً مع طهران بشأن البرنامج النووي الإيراني، يشي بحجم التوقعات السعودية العالية من واشنطن، ويعكس مدى تعلق الرياض بالطب الأميركي. لعل العتب السعودي لا يوازيه إلا الغضب الإسرائيلي، إذ يظل نتنياهو حرداناً فإن لا خيار لدى الرياض سواء ابداء مرونة، والقبول بالأمر الجديد، وبدل الغضب من أميركا، تروح لتغضب من إيران وتقطع العلاقات معها.

لقد أدت السعودية دورها بامتياز كأحد أبرز الأذرع الأميركية، ودورها قد يفوق دور إسرائيل، أو يوازيه في تخريب المنطقة العربية، وتفكيكها، فيما أمنت الولايات المتحدة والدول الغربية غطاء للسعودية، حكماً داخلياً، وسياسات خارجية، وهذا التحالف الآن أقل يقيناً، يعكس تهوراً سعودياً وافتقاراً للتوازن.

لقد مكن الثلاثي الوهابي، النفطي، الغربي النظام السعودي من احتلال موقعه الراهن، لكن جميع هذه العناصر عرضة للانهايار، فيندرج نظام الرياض نحو الهاوية، خصوصاً وهو لا يركز إلى معطيات داخلية. ولعل هذا أيضاً بعد آخر من قوة الحكم السعودي وضعفه، أي غياب المرتكز الداخلي الذي يعفيه من أي اصلاح، ربما، وغياب الوحدة الوطنية السعودية يصعب عمل المعارضات، ويعقد بناء سياج وطني جامع، وهذا يمكن الحاكم السعودي من فرض أجنذاته، لكن موج التغيير إذا هل أو تقرر لن يبقى السعودية إلا عرضة للتفكك.

* باحث وإعلامي من البحرين

مارس 2011، وفي بداية انطلاق الثورات العربية، قام الملك السعودي عبدالله بن عبدالعزيز باعتماد الحد الأدنى لرواتب العاملين في الدولة بـ3 آلاف ريال، وصرف 2000 ريال شهرياً للباحثين عن العمل، وصرف راتبين لموظفي الحكومة وطلاب التعليم العالي، واستحدثت 60 ألف وظيفة عسكرية. والوجه الآخر لهذه الصورة، زيادة عدد السجون، والمساجين، وبيات الإعدام سلوكاً شبه معتاد.

الهدف الثاني، لقد مكنت أموال النفط السعودية من شراء المنظومة العربية. وتدعي السعودية أنها قدمت مساعدات مالية مباشرة للدول العربية بلغت 85 مليار ريال (22,7 مليار دولار) خلال الفترة من يناير 2011 إلى أبريل 2014، ولا أعرف مدى دقة ذلك، لكن الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي كان قد صرح بعد سنة من انقلابه العسكري أن مصر تلقت أكثر من 20 مليار دولار منذ عزل الرئيس الإخواني السابق محمد مرسي من السعودية والإمارات العربية المتحدة والكويت.

وصحيح أن إدارة السودان ظهرو لإيران يعود في ما أظن إلى قراءة تيارات الإخوان المسلمين وانحيازاتهم السياسية، المخيبة لأمال بعض محور الممانعة، لكن الأمر يتعلق أيضاً بأن دول الخليج غنية مالياً، وبحسب تقرير لـ"رويترز" فقد "ضخت السعودية استثمارات أكبر من تلك التي ضختها أي دولة أخرى في السودان. إذ بلغت استثمارات هناك حوالي 11 مليار دولار معظمها في قطاع الزراعة".

ويبدو مفهوماً إذا الدول الفقيرة مثل الصومال هي التي قطعت علاقاتها بإيران على خطى الرياض، ولهذا السبب أيضاً، وأسباب أخرى، تتعلق بث الفتنة الطائفية، وهي إحدى ثمار الوهابية، فإن الكثير من الحكومات العربية والإسلامية استسلمت للرؤية السعودية في اليمن وسوريا والعراق، وإزاء وصف حزب الله بالارهاب. لقد تعاضدت في ذلك القوة الناعمة: الطائفية، والقوة الصلبة النفط والمساعدات.

الهدف الثالث: منح النفط السعودية مكانة مهمة، دولياً، كونه سلعة حيوية للاقتصاد العالمي، وتدفق النفط أحد ثلاثة أهداف للاستراتيجية الأميركية في المنطقة، ضلعها الأخران حماية الأنظمة الصديقة وضمان أمن إسرائيل، ولا أعرف إن تم حذف بند احتواء إيران.

لكن النفط وإذ يشكل دعامة مهمة للحالة

وعممت ثقافتها، بما في ذلك اللباس العربي، واللحية... الجانب المظلم هو ما نشاهد من تصاعد نفوذ القاعدة وداغش والقوى المتطرفة، وهو الأمر الذي يدق ناقوس الخطر في أوروبا والعالم... ولكن أيضاً في الرياض، حيث تخشى السعودية من هجمات داعشية وقاعدية.

وحتى اللحظة يمارس داعش والقاعدة دوراً فريداً في استنزاف خصوم الغرب في العراق وإيران ولبنان وسوريا... حينها لا بأس ببعض الأعراس الجانبية، ويضع هجمات هنا وهناك ضد مصالح فرنسية وغربية وسعودية ربما، لكن إذا طغح الماء على الطحين، وهابياً، وهذا سيناريو لا يمكن تناسيه، يمكن أن ينقلب سحر آل سعود الوهابي، ضدهم، بدءاً من نجد، قلعة الوهابية.

2. القدرات النفطية... المفاتيح بيد الغير

يشكل النفط (انتاجاً، ومداخيل، واحتياطيات) مرتكزاً استثنائياً، لعله الأهم، الذي مكن النظام السعودي من فرض إرادته داخلياً، وتوسيع نفوذه خارجياً. وتنتج الرياض نحو عشرة ملايين برميل يومياً، وقد تصدرت قائمة منتجي النفط في العالم خلال الأشهر التسعة الأولى من عام 2015، بإنتاج بلغ 10,19 مليون برميل يومياً، وذلك للمرة الأولى منذ عام 2003. وبعد ذلك الرقم الأعلى في تاريخها على الإطلاق، يليه معدل الإنتاج خلال 2012 عندما وصل إلى 9,8 مليون برميل.

لقد منح النفط آل سعود وفورات مالية هائلة، إبان الطفرة النفطية التي شهدتها العقد الأول من القرن الراهن، وبينما بلغت الإيرادات السعودية في 2002 نحو 215 مليار ريال سعودي، تضاعفت الإيرادات عدة مرات، وبلغت في 2012 أكثر من ترليون و250 مليار ريال.

لقد مكن ذلك السعودية من تحقيق أهداف عدة، أذكر بعضها:

الهدف الأول، الاستقلالية النسبية للسلطة السعودية عن ضغوط الداخل، فالسعودية نموذج للاقتصاد الريعي، وتعتمد المالية العامة السعودية بنسبتها العظمى على النفط الذي يشكل 90% من إيرادات الخزينة، ولا إيرادات عامة من الضرائب التي يدفعها المواطنون ترفد الخزينة، ولا يتيح ذلك فرصة لنمو مسار "الضريبة من دون تمثيل"!

لقد مكنت أموال النفط السعودية من شراء أو إخماد قطاعات واسعة من المواطنين. في

تبدل الكثير من المال كي تبث فكرها الوهابي في أرجاء العالم

”

علماء الأزهر الذين كانوا يوصفون بالاعتدال، ويبدو الأزهر في طريقه ليكون نسخة وهابية، وأخشى أن تكون القاهرة بعد سنوات عدة وكراً وهابياً، لذا يمكن اعتبار كلام الرئيس عبدالفتاح السيسي عن تجديد الخطاب الديني ليس إلا ضحكاً على الذقون، وقد سلم الأزهر لهيئة كبار العلماء في الرياض.

ساهمت الوهابية في بث الفكر السعودي



ومنشآت قوات البيشمركة، وتنظيمها. وكذلك قرارات تشمل المنازل والأماك الحكومية والمستأجرة منها ومصروفات الحكومة وتنظيم واردات الاقليم والاستثمار ومراجعة اوضاع الشركات العاملة في الاقليم. وختم البيان بفقرة: "لتنفيذ ومراجعة هذه القرارات تشكل لجنة بأمر من الإقليم لتنفيذ القرارات بالطرق مناسبة، ورفع النتائج الى رئيس إقليم كردستان".

وكذلك اصدر البرزاني قرارات اخرى تتضمن "إجراء إصلاحات جذرية داخل الحزب الديمقراطي الكردستاني، وذلك لتنظيم الشؤون الإدارية والمالية للحزب وبكل شفافية لما تستجديه خدمة المصلحة العامة"، وختمها كالعادة بقرار، "تشكيل لجنة من قبل رئيس الحزب الديمقراطي الكردستاني لتتولى تنفيذ ومتابعة هذا المرسوم الاقليمي وتمارس عملها حسب آلية مناسبة وترفع كافة النتائج التي تتوصل اليها لرئيس اقليم كردستان" (الحالي فقط وربما تتغير الصيغة لو وجد رئيس آخر). وصيغ البيان ومحتواه واضح في موقفه، وكأنه يوجه السهم الى ما يصيب هدفاً لدى الجانب الآخر.

بيانات الحزبين تختصر المشهد السياسي عموماً في الاقليم، وتقدم ما يعمل عليه كل طرف وتسعى الى تسجيل مواقف،

ودعا البيان "جميع الاطراف السياسية الى التعاون لتنفيذ مطالب شعب كردستان، وفي الوقت نفسه، دعم حكومة اقليم كردستان لتجاوز هذه المرحلة الصعبة، خاصة ان قوات بيشمركة كردستان تخوض معارك دموية ضد تنظيم داعش الارهابي كما ان المنطقة تحفل بمتغيرات سياسية جديدة". وواضح ان البيان صدر لإعلان موقف وتوضيحه بما تحت السطور، ويعكس تبايناً أو امتعاضاً من جانبه لما يحصل في الاقليم من الجانب الثاني في تحالفه وقيادة الاقليم.

وبادله البرزاني بإصدار عدة قرارات اصلاحية لتنظيم اعمال حكومة إقليم كردستان ومعالجة المؤسسات والدوائر الحكومية. وجاء في نص قرارات البرزاني، ما يؤكد على التناقض بين اعتبار القانون في هذه الاصلاحات او بموجبه اتخاذها بينما يتنكر لما له من علاقة بمدة رئاسة الاقليم والانتخابات لها في القانون رقم 1 لسنة 2005. ودعا الى تنفيذ اصلاحات وتنظيم "مراجعة ادارة هيكله حكومة إقليم كردستان وتنظيمها على اسس مناسبة مع متطلبات الحكومة، وكذلك الهيكله المالية، ومراجعة كافة الملاكات الحكومية بهدف تنظيم الاملاك والعمل على انشاء مجلس الخدمة، ومراجعة ملاكات ووحدات

شباط/ فبراير 2016) محذراً من إجراء أي استفتاء بشأن وضع إقليم كردستان العراق، الذي يتمتع بحكم ذاتي. وأضاف: "هذه الخطوة قد تدفع المنطقة إلى مزيد من عدم الاستقرار والوقوع في نزاعات جديدة"، حسبما نقلت وكالة "رويترز".

متابعة وراً مباشراً أو محملاً بمواقف واضحة، أصدر المكتب السياسي للاتحاد الوطني الكردستاني بلاغاً بشأن مستجدات الاوضاع في اقليم كردستان والعراق، بعد اجتماعه برئاسة النائب الاول للامين العام للاتحاد الوطني الكردستاني السيد كوسرت رسول علي وحضور جميع اعضاء المكتب السياسي بمدينة السليمانية، (2016/2/11) جاء فيه ما يدعو الى "تفعيل رئاسة البرلمان وحكومة الاقليم عملياً ومن دون قيد وشرط لإيجاد حل سياسي حقيقي بين الاطراف"، والإشارة الى حلول للارزمة المالية "واستمرار المفاوضات وفق مشروع اقتصادي وسياسي جديد يحظى بمصادقة جميع الاطراف مع الحكومة الاتحادية بتزامن الشفافية في كيفية بيع النفط، الغاز، وازداد النفط والعقود، وإيضاحها للرأي العام". والتأكيد على ان "الاتحاد الوطني الكردستاني دائماً مع حق تقرير المصير، لذا، نؤكد ان اجراء الاستفتاء في ظروف مناسبة ضمن حقوق ديمقراطية وقانونية لشعب كردستان".

قدّمت حكومات بغداد للإقليم وإدارته بعد الاحتلاك «تنازلات» كبيرة

”

وتحاول ان تعالجها بما يتيسر او بما يمكن في هذه الظروف المركبة والمربكة، وتبين ان المواقف بينهما لا تقترب بالقدر الذي كان او يمكن ان يستمر. وتظل بيانات ومواقف بانتظار التنفيذ وتقريب التباينات وتفعيل الاتفاقات، وحيث تتواصل اجتماعات ممثلي الاحزاب المشتركة في البرلمان لحل مشروعية رئاسة الاقليم والتحديات الأخرى التي تؤثر على مجريات المشهد وتنفذ ما تقدم من رسائل القابات للحزبين الرئيسيين الحاكمين في الإقليم، إلا انه وكما يبدو لم تتوصل الى حلول متوافق عليها كما يجري التخوف من التراخي والتباطؤ او طول التفرج على ما صدر من كل طرف منها بقصد او بحذر مبطن، وتظل الدوامة غالبة في سير العمل في الاقليم ولا يفاجأ بعد من انهيار الوضع القائم فيه حالياً. فالواقع الحالي اشبه بهدوء بسبق العاصفة، وحين تنتهي الضغوط الخارجية او تتوقف او تنشغل بأمور أخرى تعود هذه الاوضاع الى ما اطلقته في العنوان وتعود "حليمة الى عاداتها القديمة"، ويخشى من الارتكابات والخسائر البشرية القادمة وما يخفي من ورائها. وهو ما يتطلب التحذير منه من الآن والدعوة الى تحكيم العقل والمصالح الوطنية وإنقاذ البلاد والعباد.

* كاتب عراقي